

ومضات من حياة الفنان عبد الرحمن بلّاص

باحث وشاعر

أ. تاج السر ميرغني وقيع الله بلّاص

مستخلص:

تسعي هذه الورقة إلى اظهار جانب غير معروف عن حياة الفنان عبد الرحمن بلّاص، وهو الجانب المتعلق بعلاقته ببناء اخوانه واخواته، وايضا الخدمات الانسانية التي يقدمها للآخرين. خرجت الورقة بعدد من النتائج منها : نشأ عبد الرحمن في كنف اسرة متماسكة ومحفظة، و بين الجروف والسّواقى حيث تعتبر الزراعة هي المهنة الرئيسية للأهالي منطقة السقاي ريفي مروي. ان بلّاصاً كان مُغرماً بالغناء وبالمديح منذ نعومة أظفاره ، يجلس على الحاحية ويبدأ يشدّو بعذب الصوت، اذ كانت الحاحية هي المتنفس له مع اسرته متماسكة ومحفظة. قام بلّاص بمعية نفر من أصحابه بتأسيس مجلة كل الفنون ، غير انها لم تصمد طويلاً لضيق ذات اليد ، ثم التحق بمجلة هنا أم درمان) والتي كان يرأس تحريرها الشاعر محمد مفتاح الفيتوري، وأضحت له مشاركة ثابتة تحت اسم (نماذج بشرية. (كان التحاقه الفنان الشعبي عبد الرحمن بلّاص ، بالإذاعة في حد ذاته حدثاً فريداً ، حيث كانت أغانيه تُبثّ في برنامج (ربوع السودان) الأسبوعي ، ومنه كانت الإنطلاقة الحقيقية لأغنية (الدليب) و ملكها المتوج بلا منازع الفنان بلّاص. كما توصلت الورقة بعدد من التوصيات منها : اعادة نشر واحياء مجلة كل الفنون التي قام بلّاص بمعية نفر من أصحابه بتأسيسها، اذ انها تعتبر اول مجلة للفنون في السودان ، وايضا كانت جامعته لكل ضروب الفن . جمع كل اغاني الفنان الشعبي عبد الرحمن بلّاص ، بالإذاعة ولاسيما التي كانت تُبثّ عبر برنامج (ربوع السودان) وغيرها من الاغاني في البرامج الاخرى ، حتي لاتضيع.

كلمات مفتاحية: ومضات، حياة الفنان بلّاص، الجروف

Abstract :

This paper seeks to show an unknown aspect of the artist's life, which is related to his relationship with his brothers and sisters, as well as the humanitarian services he provides to others. The paper came out with a number of results, including : Abdul Rahman grew up in a close-knit and conservative family, and between the cliffs and the markets, where agriculture is the main occupation for the people of the AL-Sakai rural area of Marawi. Balasa was fond of singing and praising from an early age, he sits on the Hayah and begins to sound sweet, as the Hayah was the outlet for him with his close-knit and conservative family. Balas, together with some of his friends, founded the magazine all arts, but it did not last long for the same hand, and then joined the magazine here Omdurman, whose editor was headed by the poet Mohammed Muftah al-Fitouri, and became a constant participant under the name of (human models. (His joining the popular artist Abdel Rahman Balas, in itself, was a unique event, as his songs were broadcast in the weekly program (Rabaa Sudan), and from it was the real launch of the song (al-Dalib) and its undisputed crowned king, the artist Balas. The paper also reached a number of recommendations, including : republishing and reviving the magazine of all arts, which Balas, together with a group of his owners, founded, as it is considered the first art magazine in Sudan, and it was also a university for all kinds of art .He collected all the songs of the popular artist Abdel Rahman Balas, on the radio, especially those that were broadcast through the program (all over Sudan) and other songs in other programs, so as not to get lost.

Keywords: flashes of the life of the artist Balas Al-jaruf

إضاءة :

الاسم :عبد الرحمن وقيع الله عبد الرحمن بلّاص.

المولد والنشأة :قرية السّقاي - ريفي مروي - الولاية الشمالية.

الوالد :وقيع الله عبد الرحمن بلّاص.

الوالدة : نفيسه حسين محمد بك.

الأخوان :ميرغني ، مصطفى ، حسن ، عبد الله و محمد.

الأخوات :رقية ، نورة والسيدة.

مقدمة:

كسائر أبناء جيله في المنطقة ، نشأ عبد الرحمن في كنف الأسرة بين الجروف والسواقي حيث تعتبر الزراعة هي المهنة الرئيسية للأهالي .ولما شب عن الطوق ، الحقه والده بخلوة شيخنا عبد الرحمن العالم لتعلم وحفظ القرآن و هي بمثابة التعليم قبل المدرسي في زماننا هذا ..ثم انتقل منها إلى مدرسة مروى الأولية حيث سبقه إليها قبل سنوات اخوانه الكبار ميرغني ، مصطفى وحسن .

في تلك الأيام وفي فصل الصيف ،،كان المزارعون يسابقون الزمن لحراثة الأرض وتجهيزها لرمي بذور الذرة ثم يتعهدونها بالري حتى تنبت وتنتصب عيدانها وهي تحمل القناديل مبشرة بموسم خير وافر من الانتاج ، لكن غاية ما كان يؤرقهم و يقض مضاجعهم ،،الهجمات الشرسة والمتتالية للطيور (الرازير) بحثاً عن القوت ، و من هنا برزت الحاجة لإبتداع وسيلة لمكافحةها فكانت ال (حواحي) هي الحل الأمثل.

كلمة (حواحي) هي جمع (حاحية وهي عبارة عن غرفة تحكم و إنذار ان جازالتعبير، تشيد من أربعة قوائم من عيدان الأشجار الصلبة وتكون بارتفاع أعلى من عيدان القصب بأرضية وسقف من جريد النخل و يتم تشييدها في منتصف الحقل، حيث تتفرع منها حبال مثبت على امتدادها بتناسق ،،، علب حديدية مملوئة بكمية من الحصى و موزعة باتجاهات متعددة و مربوطة في أطرافها من الناحية الأخرى في أشجار متناثرة على أطراف الحقل.

يتولى الشخص الذي يجلس على (الحاحية) مهمة شد الحبال في عملية تراتبية فتنبعث أصوات متناغمة من هذه (الكشاكيش) جمع (كشكوش) وهي العلب المملوئة بالحصى وبالتالي تفرز الطيور فتنسحب بعيداً عن الحقول.

أرأيت كيف كان أهلنا في ذلك الزمن الغابر يبتدون الحيل لابعاد الطيور عن حقولهم؟؟
لاشك أنك عزيزي القارئ قد تبادر الى ذهنك سؤال و أنت تطالع هذه التفاصيل عن الحاحية و ما علاقة ذلك بالفتى عبد الرحمن بلاص؟!
حسناً مهّل ...

فسوف أجيبك على سؤالك هذا و أقول أن بلاصاً هذا كان مُغرماً بالغناء وبالمديح منذ نعومة أظفاره ،،،،و كانت الساحة وقتها تعجّ بهذه الفنون حيث الأغاني التراثية المتداولة في بيوت الأفراح من أعراس و ختان الذكور ، فكانت ليالي الفرح تمتد إلى عدّة أيام.

وكان عبد الرحمن عندما يجلس على الحاحية ويبدأ بشدّ الحبال يمتزج صوت (الكشاكيش) مع خريير امياه في الجداول وشقشقة العصافير وأنين السواقي التي تروي الحقول ،

فتشكل هذه الأصوات مجتمعة سيمفونية رائعة

يطرب لها الفتى أما طرب ، خاصة وأنه كان شديد الالتصاق بجده لأنه حسين ود الهرم التربال الصميم صاحب الصوت الشجي .كان يصغي إليه بكل حواسه وهو يترنم ببعض الألحان العذبة من أغاني التراث أو يشدو ببعض مدائح حاج الماحي والتي تغلغل في الوجدان. وقد كان له أبلغ الأثر في نفس بلاص و في مقبل حياته الفنية.

دارت الأيام والسنين ووجد عبد الرحمن انه لا مناص من مغادرة الديار الى الخرطوم حيث المدينة و صخبها ، إذ اراد أن يدخل تجربة جديدة من حياته ،وكان له ما هدف إليه ،حيث التحق بمدرسة ليلية لتجويد اللغة العربية ، كيف لا وقد وجد في نفسه ميلاً للقراءة والكتابة وقد تنبأ له توأم روحه الأستاذ محجوب كرار عليهما الرحمة والمغفرة ، بأن عبد الرحمن ربما أخذته الكتابة بعيداً عن الغناء و هذا ما حدث في أواخر أيامه.

عندما شعر بأنه امتلك أدوات الكتابة ، قام بمعية نفر من أصحابه بتأسيس مجلة كل الفنون ، غير انها لم تصمد طويلاً لضيق ذات اليد ، ثم التحق بمجلة هنا أم درمان) والتي كان يرأس تحريرها الشاعر محمد مفتاح الفيتوري ،وأضحت له مشاركة ثابتة تحت اسم (نماذج بشرية.)
لشك ان الحديث عن عبد الرحمن بلاص (الكاتب و الأديب) يطول في هذا المجال ،،حيث كانت له مقابلات صحفية متميزة مع كوكبة من المع نجوم المجتمع في الادب و الشعر والثقافة والسياسة ،،،علاوة على كتاباته الرائبة في عدد من الصحف و المجلات و الدوريات ، وقد توج كل مجهوداته تلك بتأليفه لمجموعة من الكتب في شتى ضروب الأدب من قصة قصيرة و حصيلة وافرة عن تراث المنطقة ،،، وقد بذل في ذلك جهداً خرافياً بمرافقة خليله محجوب كرار ، وقد جابا القرى والبوادي طولاً و عرضاً لجمع هذا العمل الرائع والذي يعتبر إرثاً عظيماً لكل الدارسين والباحثين في هذا المجال.

أما عن الجانب الآخر من شخصية هذا المبدع و هو الفنان الشعبي عبد الرحمن بلاص فقد كان التحاقه بالإذاعة في حد ذاته حدثاً فريداً ، حيث كانت أغانيه تُبث في برنامج (ربوع السودان) الأسبوعي ، ومنه كانت الإنطلاقة الحقيقية لأغنية (الديب) و ملكها المتوج بلا منازع الفنان بلاص.

كان ارتباطنا به نحن أبناء اخوانه و أخواته منذ أن وعت عقولنا و نحن صبيّة صغاراً نلتف حول المذياع في ذاك الزمان والذي لم يكن متاحاً وقتها إلا لذوي الخطوة في القرية و نتابع بكل حواسنا برنامج (الربوع) (والذي كما ذكرت يُبث أسبوعياً ونستمع غاية الاستمتاع بصوته منسباً عبر الأثير مردداً) الشفّه الرّجيتا سنين مما عمري كان سنتين) (وقوليلو أبيت أبيت (وبقية

العقد الفريد من أغنياته. وكان عندما يحضر للبلد) قرينتنا السقاي) في الإجازات ،،،، نحاصره بطلباتنا ليسمعنا بعضاً من أغنياته فما كان إلا أن نتناول أقرب تربية لضبط الإيقاع ،، أما الكورس فالكل جاهز ومدرب. كما كنا نصحبه (نشكل كورس) في تجواله في المنطقه تلييه لدعوات مقدمة له لإحياء حفلات وليالي ساهرة. ومن أكثر اغاني بلاص المحببة إلى اغنية ود الناس الرايق التي يقول فيها :

بريدو بريدو ود الناس الرايقه بريدو بريدو تشهد لي الخلائق

& & &

يا شتيلة المنقة يا الفي الحد مزروعه

دقاق لليلي ما شرت فروعاه

داير اجيب تيرابه في سافتنا اسوقه

ويا عشاق كثير ما تدودرو فوقه

اصلو زولا غيري حرمان ما بيضوقه

& & &

زي ورد الجنينه الدابو نور

وزي التمر السواقي القام وخضر

حاجبك زي هلال رمضان مدور

سبحان الاله خلقك وصور

هادي صافي لون ضهبا مجمر

& & &

صدرو بلا البحر الموجو قائم

و نهيدو على الصدير وزين وعاييم

صغير في السن ابداه ما هو عالم

انا الممكون انا المباب يلومني لايم

بريدو بريدو والله براه عالم

& & &

جدي الصيد ورد ما تنفروه

ويجفل بي عجل ما تنهروه

والمشروع حلال ما تحجروه

جدي الوادي جاكم احرسوه

حافظوا عليه يا ناس طمنوه

& & &

يا الله الكريم تسمع دعايا

ورفعت ايديا ما تخب رجايا

وبسجد في خشوع حقق منايا

واجمع شملي برد لي حشايا

واكتب لي لمات ظبي الحصايه ⁽¹⁾.

عند انتقالنا إلى الخرطوم بحكم ظروف الدراسة والعمل ،،،، استمرّ التواصل بيننا وكنا نزوره في داره العامرة بدءاً في ديوم بحري مروراً بالشعبية ثم الحاج يوسف وأخيراً ديوم بحري مرة أخرى حيث استقرّ به المقام . كانت اغلب الزيارات ايام عطلة الجمعة حيث مهرجان (القراصه) الأدبي والفني إن جاز التعبير و الذي يؤمه نفر كريم من صفوة الإذاعيين والإعلاميين ، اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، علي الحسن مالك ، أحمد العوض الحسن ، وكان على رأس الحضور بالطبع الأستاذ محبوب كرار .

حدثني ابن عمتي محمد محبوب إدريس و هو ابن رُقيّه أخت الفنان بلاص ، وكان وقتها طالباً بجامعة الخرطوم / كلية الآداب، وكان ذلك في بداية سبعينات القرن الماضي، حدثني أن خاله بلاص كان كثيراً ما يتم دعوته لتقديم ندوات و محاضرات عن الآداب و الفنون والتراث في منطقة منحنى النيل بمشاركة ثلة من المهتمين بهذه الجوانب من مثقفي المنطقة وغالباً ماتختم تلك الجلسات بنماذج غنائية يقدمها الفنان بلاص .

دأب الفنان عبد الرحمن بلاص على اصطحاب الموجودين من ”أبناء اخواته و اخوانه“ في الخرطوم و مشاركته ككورس متمرس لتسجيل بعض الحلقات والسهرة للإذاعة والتلفزيون والحفلات و قد شاركه كثيراً شقيقي محمد عثمان ميرغني بلاص والأخ حيدر عبد الله بلاص كعازف على آلة الطنبور والأخ علي محبوب ابن اخته (نوره .)

في منتصف سبعينات القرن الماضي، وعندما كنا طلاباً بجامعة الخرطوم كلية الاقتصاد ، كان كثيراً ما يزورنا بداخليات ”البركس“ من حين لآخر جمعية صديقه الوفي محبوب كرار ، الفنان عثمان اليمني ، والشعراء محمد سعيد دفع الله والسر عثمان الطيب لذي كان طالباً بكلية التربية جامعة الخرطوم.

كنا بداخلية جبل مرة مجموعة من أبناء منطقة مروي اذكر منهم على سبيل المثال لا

الحصر: عبد الرحمن محمد صالح (مامان) رحمه الله عبد الوهاب حمدنا الله، بابكر سليمان و شخصي كاتب هذه السطور تاج السر ميرغني وقيع الله بلاص و آخرين ،بطبيعة الحال، كانت الداخلية تعج بالطنابير والطبل (جمع) طبله) كنا بعد تناول طعام العشاء بسفرة البركس نقوم برص و ترتيب الكراسي في الساحة المزروعة بالنجيلة أمام مبنى داخلية جبل مرّه و في ملح البصر تتقاطر الجموع من طلاب الداخلات الأخرى و من طلاب مدرسة الخرطوم الثانوية القديمة و طلاب مدرسة الخرطوم التجارية المجاورتين لداخليات البركس للإستمتاع بفواصل من غناء الطنبور بمصاحبة إيقاع الدليب والصفقة ، فيالها من ليالٍ بهية عامرة بالبهجة والسرور . ونحن بجامعة الخرطوم و في كلية الاقتصاد تحديداً ، كان لنا نشاطاً ثقافياً فنياً (جمعية الاقتصاد) بقيادة الأخ الراحل عبد الرحمن مامان رحمه الله و كنا نرتب لبعض الرحلات أيام الجُمع ، و أذكر بهذه المناسبة أن الأخ مامان كان يوفر لنا عربة (بولمان) وهو ما يعرف الآن بالهايس لاحضار أحد فنانى المنطقة لشاركتنا الرحلة، وفي إحدى المرات ذهبت برفقة مامان وبعض الاخوة للفنان محمد كرم الله فاعتذر لارتباطه بموعد مسبق _ ووجدنا معه الأخ الشاعر محمد سعيد دفع الله .و من هناك توجهنا لمنزل الفنان اليمني فاعتذر ايضاً لارتباطه مسبقاً ايضاً ، لكنه اشار لنا باستصحاب أخيه الأصغر الفنان محي الدين وكان في بداية مشواره الفني وقد أبدع و أجاد و قدّم فواصل غنائية ممتعة.

جدير بالذكر أنه كانت تقام الكثير من الفعاليات الفنية والثقافية بجامعة الخرطوم و بمبادرات متعددة من جمعيات الكليات المختلفة ، وفي معظم تلك الفعاليات كانت توجه الدعوة لفرقة الفنون الشعبية والتي كان يرأسها في ذلك الحين الأستاذ بلاص .

في تلك الفترة الخصبة والتي كانت تمور بالنشاط الأدبي والثقافي و الفني ونحن طلاباً بجامعة الخرطوم ،نشأت فكرة تكوين رابطة لأبناء مروي بالجامعة ، وهي بالمناسبة أول رابطة طلابية مناطقية بالجامعات آنذاك ثم انداحت الفكرة بعد ذلك لمختلف الجامعات ،و قد قصدت بهذا التوضيح انه كان لنا قصب السبق في هذا الأمر .تنادينا نحن مجموعة من أبناء منطقة مروي بالجامعة أن تكون ضربة البداية اسبوعاً ثقافياً فنياً جامعاً كل ضروب الثقافة والأدب و الفن والإبداع عموماً من شعر و مديح و تراث و غناء الخ الخاص بمنطقة الشايقية .

ما يؤسف له أننا كسودانيين لا نهتم كثيراً بالتوثيق ،، فقد ضاعت في دهاليز الذاكرة الخبرة و تسربت أسماء ”المجموعة الماسية“ التي أسست لهذا العمل الضخم ، لكن أذكر منهم الإخوة الأعزاء فيصل علي حمد ، عبد الرحمن محمد صالح مامان و كاتب هذه السطور تاج السر ميرغني بلاص من كلية الاقتصاد ، إضافة الى آخرين و مجموعات أخرى من الإخوة الزملاء من مختلف الكليات بالجامعة ، هندسة ، آداب ، طب ،صيدلة ، زراعة ، بيطرية وقانون .

كانت المفاجأة الكبرى و نحن نعد لهذا الاسبوع أن وجدنا أعداداً هائلة لا يستهان بها من الأساتذة بمختلف الكليات من أبناء المنطقة ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، بروفيسور/ محمد عمر بشير من (كريمة (وهو عميد كلية الدراسات العليا، و دكتور /عباس أحمد (تنقاسي (كلية الاقتصاد ، دكتور/تاج السر حرّان (السّقاوي (كلية الآداب و آخرين لا تحضرنى أسمائهم . ونحن نعدّ لإخراج هذا الاسبوع ، أذكر أنني اقترحت على المجموعة المشرفة أن نستعين بشقيقي الأكبر هاشم ميرغني بلّاص و هو خطاط و رسام بالفطرة وقد صقل هذه الموهبة بالدراسة بالمعهد الفني، حيث أوكلنا له مهمّة رسم لوحة من القماش تعبّر عن طبيعة المنطقة . وقد كان، حيث أبدع الأخ هاشم في تجسيد مشهد يمشي على قدمين (إن جاز التعبير) و أنت تطالع هذه اللوحة البديعة يُخيّل لك وأنت تقف على الضّفة الغربية من النهر حيث الجروف و الخضرة و الحقول تتوسطها شجرة نخيل ضخمة ترتفع إلى عنان السماء ، وعلى الضّفة الشرقية من النهر، يقف جبل البركل شامخاً بكل كبرياء و عظمة .

عندما قمنا بشدّ هذه اللوحة الضخمة على خلفية مسرح اتحاد طلاب جامعة الخرطوم القابع بشارع النيل ، ما كان من أحد طلاب كلية الهندسة وقد حضرلتوه من محاضرة ، إلّا أن وضع مساطره و أدواته التي يحملها أرضاً ، و أمرّ أن **يطلّع التمرة دي** ! علي حد قوله) و هنا تدخلت ”الأجاويد“ و الواسطة (في طولك في عرضك .. ياخ ده منظر ساكت) ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تجسيد اللوحة بأدق تفاصيلها .

كان ذاك الاسبوع ثقافياً ، أدبياً ، فنياً مدهشاً بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، و كان الافتتاح بهيئاً وبمشاركة كريمة من أساتذتنا الأجلاء بالجامعة من أبناء المنطقة وعلى رأسهم بروفيسور محمد عمر بشير ، و اذكر بهذه المناسبة وأثناء الافتتاح ، صاح الفنان بخيت صلاح مخاطباً برووف محمد عمر بشير (تتذكر يا أستاذ زمان لما كنتو بتشيلو معاي في نادي العمال بحري ؟) فما كان من البروف إلا أن زجره معاتباً (ده كان زمان ، ده كان زمان .)

مضت أيام الاسبوع على نسق جميل ، حيث خصصنا لكل يوم فعالية مختلفة ، فيوم للشعر مثلاً حيث أمّه نفر مقدّر من كبار شعراء المنطقة بقيادة

الشاعر الفحل اسماعيل حسن ، سيد احمد الحردلو و آخرون . و يوم لمديح ”المصطفى“ عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم . و بطبيعة الحال كان حاج الماحي هو قطب الليلة الأوحد و مدائح التي تهز الوجدان . و كما أشرت ”سابقاً“ مرّت ليالي الاسبوع بهذه الوتيره و تخللتها ندوات ومحاضرات عن التراث و الأدب عموماً ، شارك فيها مجموعة من المهتمين بهذه الجوانب . و كان الختام مسكاً (كما يقال) ، حيث خصصنا اليوم الأخير للغناء وقد حشدنا له كل

فناي المنطقة و على رأسهم الفنان عبد الرحمن بلاص، اليمني اخوان (عثمان و علي و محي الدين) محمد كرم الله وصديق أحمد ، بخيت صلاح و الفنان محمد جبارة ، وقد عاد لتوه من خارج البلاد .

كان مقدّم البرنامج الاعلامي المتألق الأستاذ/ جعفر عبد المطلب و قد بدأ بتقديم الفنان بلاص أولاً....كان الحشد هائلاً من الحضور لتلك الليلة الختامية و قد ضاقت به دار اتحاد طلاب جامعة الخرطوم بشارع النيل على اتساعها و هنالك من تسلق الجدران و الأشجار و اعتلوا أسطح الدار ، و كان الكل يمني نفسه بالاستمتاع بليلة طرب استثنائية قل أن يجود الزمان بمثله. كيف لا و قد احتشدت لها كل هذه الكوكبة المدهشة من فناي المنطقة في زمان و مكان واحد .

كان هذا الجمع البهي في انتظار أن يقدم الفنان بلاص أغانيه بمصاحبة الدليب و الكورس كما عهده الجميع لكنه فاجأ الناس باستصحاب فرقة سلاح الموسيقى و عندما قدمه الأستاذ جعفر عبد المطلب بأن بلاص سيقدم أغانيه بمصاحبة موسيقى الجيش ،.وكانت الاغنية هي يا جلابة :

عليكم الله يا جلابة
لو في يوم من الايام
قوافلكم علي حلتنا ساقه الشوق

~~~~~

تلاقوا بويتنا  
بي فوق درب الترك  
قاعد يشاي يشاي كاتلو الشوق

~~~~~

بيناديكم ..ويسالمكم..
ويسألكم عن الغايين
وحالن كيف في البلد البعيد بي فوق

~~~~~

قولو لية حالن حال  
ده حالا  
اصلو ما بيرضاه لاخلق ولا مخلوق

~~~~~

قولو لو الصغير شاب
وحتي الفضلو فضلو عقاب
في تيه الزمان والغربه شدو النوق

xxxx

لا أم لاحبيب لخال
لإخيه تغرق
في ترابنا عروق

xxxx

وصبحنا علي الدروب طاشين
وماعارفين

خطانا تسوقنا ولانسوق⁽²⁾.

لابدّ للإشارة بأننا قدّمنا دعوات لكل أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة من تلفزيون و إذاعة و قد قاموا مشكورين بتسجيل كل فعاليات الأسبوع و الذي كان حديث الناس لفترة من الزمن ، و كما ذكرت سابقاً كان هذا الأسبوع الذي قامت به رابطة أبناء مروي بجامعة الخرطوم في ذلك الزمن بمثابة (ضربة البداية) و فكرة مبتكرة انداحت بعد ذلك في بقية الجامعات . لكن ما يؤسف له حقاً أن كل التسجيلات قد ضاعت بسبب الإهمال والتسيّب ، ، ، لنؤكد دائماً و أبداً بأننا قومٌ لا نهتم بالتوثيق .

تنقّل الفنان عبد الرحمن بلاص كما ذكرت سابقاً بين عدة أحياء بدءاً من ديوم بحري مروراً بالشعبية ومن ثمّ إلى الحاج يوسف ، و أخيراً استقرّ به المقام في ديوم بحري ، ، و كنا في كل تلك المراحل نقوم بزيارته من وقت لآخر، ونجلس معه الساعات الطوال نتجاذب أطراف الحديث ، و نتطرّق أحياناً لكتبه و مؤلفاته و كيفية توزيعها ، ثم نختم تلك الجلسات كالعادة بفاصل من أغانيه المحببة إلينا مثل "قمر سما" ، "يا مريسيل" "ودّ الناس الرايق" ، و أخريات .

كانت علاقتنا مع بلاص لا تحدّها الأطر الأسرية (البروتوكولية) إن جاز التعبير ، كعم و خال و أبناء أخ او أخت ، و كان شخصاً مرحاً حاضر النكته، و كنت في كثير من هذه الزيارات أذكر جانباً من الحكاوي و النوادر و الطرائف التي عشتها مع جدّي وقيع الله والد بلاص. حيث كنت أكثر اخوتي مرافقةً لجدّي ، و قد كان يطرب بلاص لذلك أيما طرب وقد عاش جانباً منها في صغره فيبادر بالتقاط القفاز حاكياً عن صباه و كيف كان يلاقي عنتاً من والده وهو يتحنّن الفرص لحضور حفلات الأعراس (اللعوب) كما كان يطلق عليها في ذلك الزمان في غفلة من والده

الصارم وقيع الله ود بلاص و الذي يقوم بعملية التمام بنفسه ليطمئن أن كل واحد من أبنائه قد خلد للنوم باكراً ،حتي يفيق باكرا للعمل في الزراعة لان العمل عنده اهم شي. وكنا نختم هذه الزيارة باغنية الباجور يطير :

يا صمدنا الباجور يطير	مالها مويه المتره والبير
& \$ &	
التمر عطشان من زمان	والدحيش المرضان جعان
البهم والبقر والضان	لحقن امات طه في امشير
& \$ &	
الشتيله الخدره دفيق	تالي ايده و شايلى الكبيق
يا حلاة الرحط اب عقيق	ليها اقلبوا الجدول حفير
& \$ &	
الشتيله جريدها صفر	والكواديق فوق البحر
يا التساب الجابلنا الحر	العطش من المقادير
& \$ &	
يا الكرو القيسابو سلقه	الزرعتو ان شاء الله تلقه
ان اكل بي طرقه طرقه	وينو حق القمري والطير
& \$ &	
المحل كل عام يزيد	والقروش عدما من الليد
قلنا نرجي تمرنا الجديد	خاب املنا وبئس المصير
& \$ &	
الشتل عطشان ليه حول	والشدر عدم الكعنكول
يا بلدنا القاطعي فد زول	ياخدارنا اللافحه الهجير
& \$ &	
النقل من العطش مات	وجرب جزه الغنيمات
كنا عظمه ولينا هيبات	الله يقلع ها البوير
& \$ &	
التمر عطشان من سنين	والطلب سووه الفين

البواير غطس الطين طاييري موييتو وتعبو الكثير⁽³⁾.

ثم اغنية (الشوق للاهل) التي تذكرنا با هل والبلد وتقول كلماتها:

مشتاقين يا اهلنا نهديكم سلامنا كثير

& & &

انا مشتاق دوام ليكم ذاكر ماني ناسيكم
حلو اشعاري بس فيكم ياحليلكم صباحين الخير

سلامنا كثير

دوب للسندس الاخضر

رويان من ندى الكوثر مشتاقين مشتاقين
للتدفيق خلاص صفر للطير للكريق نقر
لي الحايبي كر ايش حاح كر لي مقد الجروف خدر
للبرسيم نجض نور لي الباجور فجر دور

لي الجدول بشيش سر سر

لي التربال مرق شمر للطين والعجاج والحر
لا هان لا تعب لا فتر واقع في الارض كسير

سلامنا كثير

لي الديك صاح صباح كبر مشتاقين مشتاقين
لي شيخنا العوض ينهر حس سوطو الطويل ور ور
لي الحور كتب سطر لي التلميذ ركب بدر
صاقع للدحيش عرعر ما هاب لا سقط لا جير

سلامنا كثير

لي الصيد في البحر والبر مشتاقين مشتاقين

لي الكانكين نتق قرقر لي الطير للشرك دودر
لي ريحة العجين والكر لي البرادي تدور
لي الكانون ملان قنقر لي القرعة التعوم في الجر
لي الحور وارده تتبختر بي جم كوبري حمد خير

سلامنا كثير

اصلك يا البلد جنه
ماشي الريله تنني
واتهنوبا يا اهلنا
و فرحان فوق خوليو الطير

سلامنا كثير

ليلاتك فرح وسرور
عثمان نقر الطنبور
تسكر من كؤوس النور

يا جنوي اضربوا الكف
وابشر يا عريس بالخير⁽⁴⁾

كما المحت سابقا ، كان بلاص سابقا لاقامة الحفلات الخيرية للمساهمة في بناء مدرسة أو تشييد مرفق صحي بالمنطقة ، لا يبتغى من وراء ذلك مالا ولا جاها، وكثيرا ما كان يقدم خدماته لبناء الأسرة فيما يتعلق باستشارات او علاجات طبية أو ايجاد وظيفة ، مستفيدا في ذلك من علاقاته الممتدة مع اطراف المجتمع المختلفة، كما كان لايتوانى عن مرافقة أى مريض من ابناء اخوانه واخواته سوا كان ذلك داخل او خارج السودان ، ولا يتوانى بلاص عن خدمة اي فرد من ابناء السقاي، او من اي منطقة من مناطق الشايقيه عموما، بل من اي منطقته من مناطق السودان المتسع، مادام قصده هذا الفرد لهذه الخدمة . وفي كثير من الاحيان يقدم خدماته المختلفه وعبر معارفه في كل السودان إلى اناس لا يعرفهم البتة، لكن حضروا اليه فقط لانهم سمعوا ان بلاص يقوم بمساعدة الاخرين.

كما كان منزل بلاص بالخرطوم قبلة ومسكن لكل اخوانه واخواته وابناءهم ، ولكل البلايص (جمع بلاص) الذين يحضرون إلى الخرطوم بغرض العلاج او الدراسة او العمل، وايضا منزله كان نزل للقادمين من السقاي إلى خارج السودان. او العكس اي من خارج السودان إلى السقاي. كما كان يقوم باحضار الادوية والملابس والاحذية وغيرها من اشياء لبعض ابناء السقاي.

كما وقف بلاص وساعد وكتب وناشد في الصحف السياره المسؤولين بمساعدة زملاءه في الوسط الفني من فنانين وصحفيين وشعراء... الخ. ان بلاص كان رجل خير وبر واحسان بكل ما تحمل هذه الجمله من معني، وقد لايعلم الكثيرون هذه المعلومه عنه، لان بلاص يقوم باغلب هذه الاشياء في الخفاء وفي سرية دون ان يعمل الاخرين بها.

بهذه المناسبة تحضرني واقعة انتهاء تاشيرة اخى هاشم في احدى اجازاته السنوية في ثمانينات القرن الماضي حيث كان يعمل خطاطا بجريدة الجزيرة السعودية بالرياض وقد باءت كل محاولات تهديد التاشيرة بالفشل حتى يتسنى له العودة لمقر عمله ، وعند مقابلته لعمه بلاص سأله مستغربا (يازول إنت لسه قاعد مارجعت ليه ؟) فحكى له القصة فما كان منه إلا أن

اصطحبه لمكتب الفريق شرطة عباس مدني بوزارة الداخلية والذي بدوره كتب على ظهر الكرت الخاص به لمن يهمله الأمر بسفارة السعودية بالخطوط وتم تمديد التأشيرة .

لا يفوتني في الختام و انا أتحدث عن علاقتنا به أنه كثيراً ما دعانا نحن أبناء أخوانه و أخواته لحضور مناسبات تكريمه علي قتلها ، فهو دائماً و أبداً كان يحرص على ذلك أشد الحرص .

هذا غيض من فيض ،،و إلا فإن الحديث عن الهرم و القامة عبد الرحمن بلّاص يطول وحقاً أن تُفرد له مساحات كثر ،،،،

و الذي لا يعرفه الكثيرون عنه أنه كان عصامياً نحت الصخر بأظافره حتى يصل الى هذه المرتبة ، كما أنه لم يكن يحب الأضواء ولا التملّق و التزلف (اضافه) ، وكان شجاعاً جسوراً يجاهر بكلمة الحق لا يخشى في ذلك لومة لائم مما ادخله ذلك في صراع مع الحكومات المتعقبة علي السودان ، لكنه لم يرضخ او يستسلم لهم او يحدد عن مبادئه قيد امله. رحم الله فقيدنا العزيز العم والاخ عبد الرحمن بلّاص بقدرما قدم من إرث فني و أدبي ، و جعل البركة في زوجه عائشه بت العسيكري ، التي ناضلت و كافحت معه طيلة هذه المسيرة المضنية ،، فكانت له خير السند و العضد ،،،و في بناته :: الأستاذة رجاء ، الأستاذة المحامية مهيبة ، الدكتورة نجلاء ،الدكتورة خالدة و آخر العنقود صفاء ،،،أو كما كنا نناديها دائماً ”صفويّه“ ليأتينا تعليق بلّاص ضاحكاً (قال صفويّه قال).

النتائج :

- نشأ عبد الرحمن في كنف اسرة متماسكه ومحافظه،و بين الجروف والسّواقحي حيث تعتبر الزراعة هي المهنة الرئيسية للأهالي منطقة السقاي ريفي مروي.ان بلاصاً كان مُغرماً بالغناء وبالمديح منذ نعومة أظفاره ، يجلس على الحاحية ويبدأ يشدّو بعذب الصوت، اذ كانت الحاحية هي المتنفس له مع اسرته متماسكه ومحافظه.
- قام بلاص بمعية نفر من أصحابه بتأسيس مجلة كل الفنون ، غير انها لم تصمد طويلاً لضيق ذات اليد ، ثم التحق بمجلة هنا أم درمان) والتي كان يرأس تحريرها الشاعر محمد مفتاح الفيتوري ،وأضحت له مشاركة ثابتة تحت اسم (غماذج بشرية.)
- كان التحاقه الفنان الشعبي عبد الرحمن بلّاص ، بالإذاعة في حد ذاته حدثاً فريداً ، حيث كانت أغانيه تُبث في برنامج (ربوع السودان) الأسبوعي ، ومنه كانت الإنطلاقة الحقيقية لأغنية (الديب) و ملكها المتوج بلا منازع الفنان بلّاص.
- في بداية سبعينات القرن الماضي، أن بلاص كان كثيراً ما يتم دعوته لتقديم ندوات

و محاضرات عن الآداب و الفنون والتراث في منطقة منحنى النيل بمشاركة ثلة من المهتمين بهذه الجوانب من مثقفي المنطقة وغالباً ماتختتم تلك الجلسات بنماذج غنائية يقدمها الفنان بلاص.

- كانت علاقة بلاص مع أبناء اشقائه وشقيقاته لا تحدّها الأطر الأسرية (البروتوكولية) كعم و خال و أبناء أخ أو أخت ، و كان شخصاً مرحاً حاضراً النكتة، و كنا في كثير من هذه الزيارات نذكر جانباً من الحكاوي و النوادر جدّي وقيع الله والد بلاص، و قد كان يطرب بلاص لذلك أيما طرب فيحكي لنا عن صباه و كيف كان يلاقي عنتاً من والده وهو يتحيّن الفرص لحضور حفلات الأعراس في غفلة من والده الصارم وقيع الله ود بلاص.

- كان بلاص سباقاً لاقامة الحفلات الخيرية للمساهمة في بناء مدرسة أو تشييد مرفق صحى بمنطقة مروي ، وكثيراً ما كان يقدم خدماته لابناء الأسرة فيما يتعلق باستشارات او علاجات طبية أو ايجاد وظيفة ، مستفيداً في ذلك من علاقاته الممتدة مع اطراف المجتمع المختلفة، كما وقف بلاص وساعد وكتب وناشد في الصحف السياره المسؤولين بمساعدة زملاءه في الوسط الفني من فنانين وصحفيين وشعراء... الخ. ان بلاص كان رجل خير وبر واحسان بكل ما تحمل هذه الجملة من معني.

التوصيات:

اعادة نشر واحياء مجلة كل الفنون التي قام بلاص بمعية نفر من أصحابه بتأسيسها ، اذ انها تعتبر اول مجلة للفنون في السودان ، وايضا كانت جامعته لكل ضروب الفن. جمع كل اغاني الفنان الشعبي عبد الرحمن بلاص ، بالإذاعة ولاسيما التي كانت تُبث عبر برنامج (ربوع السودان) وغيرها من الاغاني في البرامج الاخرى ، حتي لاتضيع. جمع وحفظ ندوات و محاضرات بلاص عن الآداب و الفنون والتراث في منطقة منحنى النيل واعادة بثها من جديد حتي يستفيد منها الجيل الحالي. تكوين جمعية خيرية باسم عبدالرحمن بلاص لاقامة الحفلات الخيرية للمساهمة في دعم منطقة مروي عموماً، زقريّة السقاي ريفي مروي مسقط راس بلاص.

الهوامش :

- (1) 1- عبدالرحمن بلاص-اغاني بلاص - ود الناس الرايقه - شاعر محمد حمد شلاي - لحن وغناء- بلاص - طبع علي النفقه الخاصه -رقم الايداع 2002/129 ص 68-69.
- (2) 2- عبدالرحمن بلاص-اغاني بلاص- ياجلابة - لحن وغناء -عبدالرحمن بلاص- شعر/ اسماعيل حسن - طبع علي النفقه الخاصه - رقم الايداع- 2002/129 م - صفحه 25.
- (3) 3- عبدالرحمن بلاص -اغاني بلاص- الباجور يطير - شعرو لحن وغناء -عبد الرحمن بلاص - طبع علي النفقه الخاصه -رقم الايداع 2002-129م- الصفحه 13
- (4) 4-عبدالرحمن بلاص -اغاني بلاص - الشوق للاهل -شعر محمد الحسن محمد سعيد(حسون) -لحن وغناء عبد الرحمن بلاص- طبع علي النفقه الخاصه - رقم الايداع 2002 - 129 - صفحه 44 - 45